ASJP
Algerian Scientific Journal Platform
مجلة المجتمع والرياضة
Society and Sports Journal
ISSN: 2602-7992 EISSN: 2710-8384
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/493
المجلد: 5 العدد: 1(جانفي2022)

التأصيل لتنظير السوسيولوجي العربي والتحرر المنتظر...

Sociological theorizing Arab And freedom awaited

يعقوب سالم[1] * / هند غدايفي[2]

[1] جامعة الوادي (الجزائر)

[2] جامعة الوادي (الجزائر)

تاريخ الاستقبال: 2021/05/21؛ تاريخ القبول: 2021/12/27؛ تاريخ النشر: 2022/01/31

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى إعطاء قراءة مقتضبة للواقع العربي المتأزم وانعكاسه على سيرورة البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، وبالأخص التنظير في علم الاجتماع، وهذا من منطلق أن التنظير رؤية تفسيرية للواقع، وحتى لا يبقى هذا التنظير قابعا في التجريد الخالص، لابد له من إطلالات على الواقع، يستبصر من خلالها الكلي في الجزئي والمجرد في الواقعي. وهذا لن يتأتى إلا بوجود قدرة خلاقة للمشتغلين في الحقل الاجتماعي، منفذها تحر ر العقل من البناء القديم الذي فقد مقوماته حسب قاعدة الاستيعاب اللا مشروط والغياب النهائي ، وإقامة بناء جديد يعبر عن الطابع الخاص للمجتمعات العربية، ومؤسس على منطق العلم الذي لا يختلف فيه اثنان، أي إنتاج علم اجتماع جديد يعمل على الاستقلال من النظريات الكبرى، الماركسية، البنائية الوظيفية، التفاعلية الرمزية،... والأسماء الكبيرة، دوركايم، فيبر، كونت، سان سيمون، كارل ماركس،... على اعتبار التحرر قناعة لها مبرراتها وتبدعها عقول في بيئات لها ثقافتها وحاجاتها و إمكاناتها، كما أن التحرر لا ينحصر في خلق نظريات جديدة فحسب، بل بما يفرضه العلم من تطورات وما يفرزه الواقع الاجتماعي من تحولات، فمقولة العلم الحيادي قد انتهت، لاسيما في العلوم التي يتناول موضوعها دراسة المجتمعات البشرية، التي تكون في العادة وثيقة الصلة بالأطر المعرفية لكل مجتمع.

الكلمات المفتاح : المنظر السوسيولوجي، التنظير السوسيولوجي العربي، الواقع الاجتماعي.

Abstract:

This abstract aims to give reading of the Arab reality - political- and the impact on research in particular to the theory in sociology. and this is on the basis that theorizing is an explanatory vision of reality, and so that this theorization does not remain confined to pure abstraction, it must have views on Reality, through which the total insight into the partial and the abstract in the real. This will not come unless there is a creative ability for those working in the social field, the outlet of which is the liberation of the mind from the old structure that has lost its components according to the rule of unconditional assimilation and final absence, and the establishment of a new building that expresses the special character of Arab societies, and is based on the logic of science in which no two differ. Any production of a new sociology that works on independence from the major theories, Marxism, functionalist constructivism, symbolic interactionism,... and the big names, Durkheim, Weber, Comte, Saint-Simon, Karl Marx,... Considering liberation is a conviction that has its justifications and is created by minds in environments that have its own culture, needs and capabilities, and that liberation is not limited to creating new theories only, but also to the developments imposed by science and the transformations produced by social reality, the statement of neutral science has ended, especially in the sciences that Its topic deals with the study of human societies, which are usually closely related to the cognitive frameworks of each society.

Keywords: Sociological théoretician, sociological theorizing, social reality.

* المؤلف المرسل.

I- تمهيد :

إن التنظير في عالم اليوم، يعتبر علما نقديا يسعى إلى تحليل التفاعلات اليومية الظاهرة و الباطنة، وما يرتبط بذلك من علاقات فاعلة في تغيير الفكر والواقع، غير أن الوصول إلى مرحلة التنظير في البحث العلمي مسألة تستدعي بيئة فكرية نقدية حرة. ولأن حرية الفكر تعتبر المحور الأساسي في العلوم الاجتماعية، ومنها السوسيولوجيا، بسبب طبيعة الموضوع، الأمر الذي جعلها بحاجة إلى الحريات بكل مسمياتها وأشكالها، لكن الحريات في عمومها تشهد أوضاعا متخلفة فيما يسمى العالم العربي هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فالتنظير السوسيولوجي أمر معقد بسبب عوامل كثيرة بعضها متصل بالموضوعات التي تدرسها النظرية السوسيولوجية، والمرتبطة بطبيعة المجتمع ومكوناته الفكرية والثقافية، وبيئته الطبيعية، والبعض الأخر بمؤثرات أيديولوجية للمنظرين ذاتهم.

والتنظير السوسيولوجي العربي يمثل منتوجا واقعيا لعملية تصدير الفكر والثقافة الغربية ذات الأصول المجتمعية المختلفة، إلى المجتمعات العربية ذات الخصوصيات القطرية هي الأخرى، كحد أدنى للتمايز، وهذا راجع إلى ارتباط دول العالم العربي بشبكة علاقات خارجية ذات شكل لا متكافئ مع المجتمعات الاشتراكية والرأسمالية بدءا من القرن الثامن عشر والتاسع عشر تحديدا إلى يومنا هذا. وفرضت هذه العلاقات غير المتكافئة إستدماج للواقع السياسي والاقتصادي، ومن ثم الاجتماعي.

إن هذا الارتباط ساهم بشكل أو بأخر في قمع التنظير السوسيولوجي العربي، والتضييق عليه، بسبب أن البيئة السياسية غير المستقرة تضيق درعا بالفكر الناقد، وتصادر الرؤية المغايرة، كما أن المنظرين أنفسهم يتحملون مسؤولية كبيرة في تبعية التنظير العربي، رغم موضوعية واقعهم الاجتماعي في أحيان كثيرة، ولكن يبقى النظام السياسي كمكون اجتماعي له دور في توجيه المعرفة في العالم العربي- لأسباب لا يتسع المجال لحصرها- ويخضعها لخدمة مشروعه وتجسيده. ولما كانت السوسيولوجيا مهددة من ناحية بالأيديولوجية والخضوع للفاعلين، ومحددة من ناحية أخرى بالحرفية والهامشية، فإنها تعيش بصعوبة ولا تعمل إلا ضمن الحدود التي ينصهر فيها الصراع بقوة شديدة، وبالتالي تلتقط أنفاسها بمشقة، وبذلك يمكن طرح التساؤلين التاليين:

- هل يمكن للواقع العالم العربي المأزوم مشرقا ومغربا أن يكون فرصة للتخلص من تبعية التنظير السوسيولوجي ؟
- هل التنظير السوسيولوجي العربي بحاجة فقط إلى ابتكار مفاهيم وأطر نظرية تأخذ في اعتبارها القضايا النوعية والظروف المجتمعية ؟

1. مفاهيم أساسية:

- **المنظر السوسيولوجي**: هو الباحث الذي يتناول أحد المشكلات النظرية التي لها علاقة بتقديم السوسيولوجيا في مجال العلم، أي هو ذاك الباحث الذي يستطيع أن يساهم في تطوير علم السوسيولوجيا في تطبيق الشروط العلمية عن طريق الدراسة والبحث والاستقصاء.
- **التنظير السوسيولوجي العربي**: هو تلك العملية أو القدرة على صياغة نظرية سوسيولوجية، بهدف فهم جانبا من الحياة الاجتماعية، وتفسيره بما يمكن أن يكون عليه مستقبلا، ولا يمكن أن يعكس خصوصية مميزة لمجموعة بشرية صغيرة، أما فيما يخص مفهوم العربي كصفة للتنظير السوسيولوجي، فيقصد بها المجال المكاني والزمني واللغوي، الذي ظهرت فيه ممارسات سوسيولوجية في الفضاء العربي.
- **الواقع الاجتماعي**: هو الفضاء المعاش الذي يتشكل من ظواهر اجتماعية، يمكن معاينتها بالملاحظة والاختبار والإحصاء، في حين يمثل الواقع الموضوعي فيه العالم المادي في كليته، وفي كل أشكاله ومظاهره، أي كل موجود خارج ذهن الفرد ويعكسه هذا الذهن، والفرد نفسه بذهنه يكون واقعا موضوعيا في علاقته بالآخرين.

2. السوسيولوجيا العربية والولادة الجبرية:

إن دلالة مصطلح السوسيولوجيا تؤكد أنه معرفة غربية استعمارية، ولدت من رحم الظروف التاريخية الخاصة بالمجتمع الغربي، وتبنته الفلسفة التي قامت ضد فكر الكنيسة، واعتبرت السوسيولوجيا كقراءة علمية واجتماعية للواقع المجتمعي الغربي، ورغم أروبية السوسيولوجيا، بسبب منشئها واتساقها مع واقع المجتمع الأوربي والأميركي ومشكلاتهم، إلا أن نشاطها امتد إلى كافة أرجاء العالم بما ذلك العالم العربي.

وتعتبر نشأة وتطور السوسيولوجيا في العالم العربي، نتيجة حتمية لخضوع أجزاء كبيرة من العالم العربي للاستعمار المباشر لفترة طويلة، فقد صمم خلالها الاستعمار كثيرا من أطر التعليم والثقافة، بل في بعض الأقطار هو الذي أوجد المؤسسات الأكاديمية (**حيدر،1985،ص 14**)

كما أسس في البعض منها مثل الجزائر قسم للسوسيولوجيا ، ورغم أن الدول العربية المستعمرة لم تكن بحاجة ضرورية إلى السوسيولوجيا بقدر ما كانت بحاجة إلى فكر ثوري لمقاومة المستعمر. غير أن هذا الأخير حدد هدفه حتى قبل مجيئه باعتماده على عملية جمع المعلومات لتحليل البنيات الأساسية للمجتمع العربي، وخاصة البنيات التي يمكن أن يكون لها تأثير على تحقيق المشروع الاستعماري.

وبهذا حدد الاستعمار الغربي الخيارات التفكيرية للسوسيولوجيا العربية، وبالتالي للذات المفكرة، التي لم تأت نتيجة تطور ذاتي وتلقائي للفكر العربي في مواجهة واقعه، بل كانت أحد مظاهر عملية التثاقف التي تعرض لها الفكر العربي (**معتوق،1985، ص12**).

ومن البلدان العربية التي ظهرت وانتشرت فيها السوسيولوجيا نذكر على سبيل المثال لا الحصر أربعة دول هي: مصر، العراق، الجزائر والمغرب، وكانت المرحلة الاستعمارية مرحلة حاسمة بالنسبة للممارسة السوسيولوجية في هذه البلدان وغيرها، وبهذا ولدت السوسيولوجيا في المجتمعات العربية. وظهرت كطفل متبنى دون أن تكون له هوية محددة أو أهداف واضحة أو إستراتيجية مرتبطة بإصلاح المجتمع العربي أو تطويره والنهوض به من تخلفه (**المدني، 2007، ص3**) .

إن السوسيولوجيا بالأهداف الاستعمارية لا تختص بدراسة مشاكل وظواهر العالم العربي التي تتميز بالخصوصية عن غيره، بقدر ما كانت نقل لكل الأفكار والنظريات، والمعارف الغربية التي لا تصلح لدراسة مجتمعات لها تقاليدها وممارستها، لكن رغم ذلك استمر العمل بالسوسيولوجيا الغربية في فترة الاستقلال، وعمل المشتغلون بذلك على التوفيق بين ما يسمى بالمرحلة الاستعمارية واتجاهاتها من جهة ومرحلة تأسيس ما يعرف بالدولة الوطنية.

3. التنظير السوسيولوجي واحتوائية الدولة الوطنية:

إن التحدي الذي راهنت عليه الدولة الوطنية بعد الاستقلال، هو تحقيق وثبة التقدم والخروج من شرنقة التخلف والتبعية للآخر، من أجل ذلك كرست الجهود التنظيرية للبحث عن رؤية سوسيولوجية لتحقيق الفعل التنموي، غير أن هذا التنظير ظل في معظمه يدور في فلك التوجهات النظرية للمدارس الغربية التي تبلورت خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الماضيين، مما جعل أغلب النظريات- إن لم نقل كلها- المدرسة في الجامعات العربية ذات مسحة غربية مرتبطة أشد الارتباط بالتاريخ الثقافي للمجتمعات الغربية ومعبرة عن خصوصياتها ومشكلاتها الفكرية. هذه النظريات تتعرض في مهدها إلى انتقادات حادة بالنظر لعدم قدرتها على استيعاب التغيرات التي يعج بها الواقع الاجتماعي الغربي (**القومي،2001،ص ص 9-10**).

أما في العالم العربي فإن هذه النظريات يتم تداولها على أنها حقائق ثابتة، وتوارثتها أجيال الدارسين دون تغيير أو فحص أو مراجعة، ودون مراعاة الفوارق بين المجتمعات المستهدفة، من حيث الشروط البنيوية، والخبرات التاريخية الخاصة، والعوائق المحلية، و أمام احتواء وتبني

النظريات والتفسيرات المستوردة من بيئات اجتماعية وثقافية مغايرة، ربما أسباب ومبررات يقدمها الواقع الاجتماعي ومنه السياسي في صور موضوعية، نورد البعض منها:

– هيمنة النخب الحاكمة –النظام السياسي– عموما على التنمية الإنسانية، وحقوق الإنسان العربي وحرياته.

– وجود مثقفين– منهم منظرين– في صفوف النظام السياسي يتحدث باسم الحداثة والتقدم في مناخ يسيطر عليه الاستبداد والتخلف.

– اعتماد الأنظمة السياسية على تقييد حركة الفكر عموما والسوسيولوجي خصوصا، على اعتبار السوسيولوجيا علما مزعجا على كل الأصعدة حسب قول محمد جسوس المفكر السوسيولوجي المغربي.

– احتكار النظام السياسي لمؤسسات البحث العلمي، وضمها إلى صفه والتحكم في مشاريعها.

– عدم تشجيع السياسيين العرب للسوسيولوجيا خوفا من مجهول.

– فقدان الدعم والقرار السياسي للخوض في سوسيولوجية ذات فائدة عملية للمجتمعات العربية.

إن تبعية السوسيولوجية العربية في ظل الدولة الوطنية إزدادت مع زيادة وتوسع السوسيولوجية الغربية ذاتها، حيث نقل الباحثون الاجتماعيين العرب نظريات غربية كاملة في السوسيولوجيا، وذلك بطريقتين، إما نقل مؤلف بذاته نقلا كاملا، من خلال ترجمته إلى اللغة العربية، إما النقل عن عدة مصادر غربية، قصد التعريف بهذه النظريات من خلال أهم أعمال روادها، وأهم مفهوماتها وقضاياها.

فتفسير أزمة التنظير للقضايا السوسيولوجيا في العالم العربي، لا يمكن أن يتحقق في ضوء دراسة وتحليل واقع المجتمعات العربية والوعي بخصوصياتها التاريخية فقط، بل لابد من السعي إلى فهم طبيعة العلاقات غير المتكافئة اقتصادية كانت سياسية أو ثقافية بين هذه المجتمعات وواقع المجتمع الغربي الرأسمالي(**شادية، 2000، ص 167**)

فالنظريات الغربية ما هي إلا تعبير عن أزمة في الأسس والمنطلقات، وبالعكس من ذلك لم تكن كذلك في ظل الدولة الوطنية أزمة أسس بقدر ما كانت أزمة ضياع هوية الباحث العربي، تحت ضغط واقع التبعية الفكرية.

وبالتالي فالخروج من قدسية الماضي الذي كرس المضادات فوق مضاداتها، وفرض على الباحث العربي أن يتقبلها في عملية هضم عسيرة جدا، لأن المتاح أمامه يتمثل فيما خلفته الدراسات الاستعمارية وما تنتجه في تلك الفترة من تراكم معرفي متعدد الأنماط والمستويات حول المجتمعات العربية، ولذا كان على الباحث السوسيولوجي مهام إنجاز قراءات ومراجعات علمية لذاك التراث، بفهم موضوعي لمرجعياته وأبعاده المعرفية، والكشف عن موجهاته وخلفياته الأيديولوجية المرتبطة أساسا بالمؤسسة الغربية، بكل ثقلها و تموقعها التاريخي، وبأغراضها الظاهرة والمضمرة، من توظيف ما ينتج في كنف توجهاتها من تصورات ومعطيات في توطيد دعائم هيمنتها المادية والرمزية.

رغم هذا الواقع الاجتماعي، إلا أن هناك وعي بضرورة البحث عن مخرج لهذا المأزق المعرفي، إذ وجدت مقترحات مبكرة تدعو نحو نظرية اجتماعية، مجمل تلك الأفكار نوجزها كالتالي.(**عبد المعطي، 1981، ص ص192–193**).

– ضرورة العناية بدراسة النظرية الاجتماعية على أن تكون فكرية عربية خالصة منطلقة من التجربة التاريخية الحضارية، وتجسد المشخصات العقائدية للأمة العربية.

– الاعتماد على التراث العربي في بناء وصياغة النظريات الاجتماعية، مع الأخذ بعين الاعتبار المستجدات والتغيرات التي طرأت على السوسيولوجيا في ضوء المساهمات الحديثة.

– دراسة النظرية الاجتماعية دراسة تحليلية نقدية مع متابعة السنن العامة، التي تسود الإطارات الفكرية للإنسان العربي، على أن تكون المتابعة واقعية لاستخلاص الخصائص المشتركة.

– يقتضي الإطار الأيديولوجي للنظرية صياغة فلسفة اجتماعية تسعى نحو المستقبل، أكثر من جذب الواقع العربي إلى الماضي.

إن هذه الاقتراحات وغيرها تدعم الضرورة إلى تنظير عربي جديد يقرأ الماضي بعقل الحاضر، ويفسر الحاضر برؤى مستقبلية، لكن معوقات الواقع الاجتماعي وإرهاصاته هي من أبقت هاته المحاولات كأفكار تنظيرية لم ترى النور في ظل الواقع المتغير من حال إلى أخر.

4. التنظير السوسيولوجي ومأزق الواقع العربي:

تعتبر السوسيولوجيا كعلم معرفي دينامي غير مكتمل، يتبدل ويتطور لأن الإنسان منتجه، وإنتاجه يحتاج إلى بيئة خصبة ومنظمة، بعيدة عن التوترات والتناقضات، وللأسف هذه البيئة شبه مفقودة في العالم العربي، والبحث عن مخرج للتنظير السوسيولوجي العربي يعتبر أمل غير مستحيل، وإن كان صعب التحقيق ضمن التحليل الموضوعي للواقع العربي المأزوم مشرقا ومغربا، حتى وإن كانت تشبه ظروف الولادة الطبيعية للسوسيولوجية الغربية.

فبعد أكثر من نصف قرن يبدو واضحا قصور استنتاج نظريات ذات خلفية فكرية عربية، تمتلك القدرة على حل مشكلات الواقع عبر إيجاد نظريات ذات إمكانيات ربط جدي بين المجتمع وسيرته الواقعية من جهة والتفكير العقلاني من جهة أخرى(**عودة، 2009، ص 18**)

إن هذا الفكر يفصح عن غياب مشهد للاتزان في الواقع على المستوى المعرفي، الذي تبرز فيه ثقافة التسطيح وإبقاء ما كان على ما كان عليه، من استهلاك و إتباع، وتضمر ثقافة الإنتاج، وهكذا يتحول المشهد المعرفي الذي يمثل فيه التنظير السوسيولوجي جزء أساسي إلى مشهد تكراري ممل، يشيع صورا وهمية زائفة عن الواقع، وفي ذات السياق يؤكد "**علي الحوات**" أن الواقع السوسيولوجي منذ منتصف القرن العشرين وحتى بداية العشرية الثانية من القرن الواحد والعشرين، وما يقابله من نظريات اجتماعية للفهم أو التفسير أو التغير، تضع علماء الاجتماع في أزمة عميقة ومنعطف وحيرة، فإما التفكير في تقديم نظرية حديثة تناسب الواقع الاجتماعي، ويكون لها القدرة على فهمه وتفسيره والتنبؤ به، وإما المواصلة في المواصلة بنفس الطريقة المعتادة، وتبني صورا ونظريات اجتماعية غير حقيقية، واستنتاج قوانين اجتماعية لا صلة لها بالواقع الاجتماعي الحقيقي المعاش (**الحوات،2010، ص 96**).

لذلك فإن عملية الخروج من هذا المأزق ليس بتطبيق مشاريع إصلاحية خارجية، وإنما بحاجة إلى إصلاح فعلي للواقع العربي، والذي يجب أن يتم بالابتعاد عن الشعارات واليافطات، لأنه باسم الوحدة نمت التجزئة، وباسم الاتحاد والائتلاف نمت العنصرية والطائفية و الجهوية، وباسم التنمية والعدالة الاجتماعية نمت رأسمالية الدولة العربية،...وهكذا اختلطت المعايير واشتبكت القضايا، وسقطت الكثير من الشعارات، فالقتال أصبح داخليا والحرب أضحت أهلية، والقمع و الإرهاب أصبح من نصيب الجميع، وأصبح الواقع العربي مشرقا ومغربا متفجرا في العديد من أجزائه، ويعيش الاحتقان على كل الصعد والمستويات، وفي ظل هذه الظروف فالأمل ليس بالمستحيل أن تساهم السوسيولوجيا في معالجة الأوضاع الراهنة وذلك بميلاد سوسيولوجيا عربية أو علم الاجتماع في الوطن العربي يستفيد من سلبيات الماضي وتجارب الحاضر لكي يساهم في إنقاذ المجتمع من التبعية والتمزق الذي يعيشه (**خليل،2007،ص32**)

. شريطة الالتزام بخصوصية المكان والزمان أحدهما أو كليهما، لأن الخصوصية في تعديل المعرفة السوسيولوجية القائمة ضرورية للوصول إلى معرفة سوسيولوجية عالمية من جهة وخاصة من جهة أخرى. ولأن عدم جدوى الأدوات المعرفية والنظرية لامتلاك الموضوع عالميا، تؤدي بالعملية المعرفية إلى إضافة الجهل للرأسمال الموجود(**محسن، 2015، ص ص 41-42**).

5. التنظير السوسيولوجي العربي بين الأحقية والواقعية:

من العوامل الهامة في ترقية التنظير السوسيولوجي وتدعيم أخلاقياته، أن تكون وراءه لغة نقدية تكشف عما فيه من ايجابيات وسلبيات، فالنقد ضرورة في مسيرة الحركة التنظيرية العالمية، مما يفرض تأصيل الإبداع بما يحقق المشاركة في حركة الانجاز العلمي في الميدان السوسيولوجي، ولما لا التجاوز في صياغة نظريات علمية تحسن قراءة المشهد الاجتماعي الكوني، وأهم مرتكزات هذا التطلع يذكر:

– نقد المعرفة الغربية وخاصة في السوسيولوجيا نقدا ايجابيا ومنتجا يقوم على التحليل والتفكيك، وفهم الأبعاد والدلالات والمرجعيات وآليات الاشتغال، وليس نقدا يقوم على منطق الاجتثاث، فنماذج من النقد مجافية للموضوعية المطلوبة علميا.

–نقد التعامل التبعي /الاتباعي المطمئن مع هذه المعرفة لاسيما في بعض نماذج مفاهيمها وطروحاتها وتوجهاتها المتباينة، وأهمية التمييز في كل ذلك بين المعرفي والأيديولوجي، والبحث عن المتاح والممكن من فرص وآفاق الإفادة من هذه المعرفة وتوظيفها، ولو ضمن مواضعات وشروط محددة.

–نقد الفهم "الخصوصاني " لهذه المعرفة، والدعوة إلى إنتاج سوسيولوجيا محلية أو إقليمية، مثل الدعوة إلى علم اجتماع عربي أو إفريقي...الخ، وضرورة استبدال هذه الرؤية الاختزالية بتوصيفة منظور نقدي منفتح يكامل بين المشروع الكوني للعلم، وبين خصوصية القضايا و الإشكالات والظواهر التي يتخذ منها موضوعا للمقاربة والبحث في سياقات سوسيوثقافية وسياسية وحضارية متباينة متنفذة ومعنية في الزمان والفضاء.

إن التأصيل يثري النظرية من خلال تفاعل وجهات النظر، وتكامل الرؤى، ولاشك أن التفاعل الايجابي مع معرفة تتوافق والعصر، من خلال عمليات إبداع، وتبادل وتحويل يؤدي إلى تأصيل نظريات المعرفة ومنها السوسيولوجية، مع الاحتفاظ بالخصوصيات. إلا أن غياب عوامل إبداع المنظر في التصرف وفق رؤاه وتصوراته قد تكون مثبطة ومعرقلة له، وحرية الإبداع قد تقيده وتمنعه الدولة أو المجتمع بكل ما يحمله من معرفة تقليدية، فالباحث في التنظير السوسيولوجي هو ابن بيئته، تربى على ثقافة الخوف والقمع والتمييز والاضطهاد في مجتمعه، فيعجز عن التفكير والنتاج في ظل دوامة معوقات الإبداع التي تتداخل فيما بينها، وتقف جدارا أمام الباحث السوسيولوجي وبين مبتغاه في الوصول إلى الحقيقة.

ولما أمكن في المغرب العربي وجود شخص مثل ابن خلدون في ظروف معينة، ولكن وجوده واجتهاده و انتاجاته الفكرية لم تكن كافية ليصبح ظاهرة مغاربية، كما لم يخلق ابن خلدون مدرسة في التاريخ والمجتمع، ولم يخلق تيارا وأتباعا، لأن العبقرية لا تكفي لإنتاج البدائل النظرية ، ولكي تنتج قضايا ما، أو فكرا ينتمي إلى الواقع التاريخي، يجب أن يعيش ذلك الواقع مشاكلها ويجب أن يسمح بها النظام المجتمعي ككل، وإلا أصبح الطرح الخلدوني طرحا مغاربيا، ولكان عمر السوسيولوجيا 500سنة عند العرب!

الخلاصة:

إن التنظير السوسيولوجي العربي كان ومازال سجين واقعه الاجتماعي، المشتت فكريا والممزق سياسيا والتابع اقتصاديا، وهذا قد يكرس استمرارية الانغماس في مركب النقص إزاء الإنتاج السوسيولوجي الغربي، الذي يعرف مرحلة زعزعة للأجهزة النظرية الكبرى، وحتى أنه لم يعد هناك منظرين سوسيولوجين حاليين بالمعنى النسبي للكلمة، بل الكل يبحث عن أدوات جديدة لتحليل الأوضاع الجديدة والمستجدة

على الصعيد العالمي، وهذا قد يعطي فرصة لتحرر السوسيولوجيا العربية، وبروز نظرية عربية تساهم في ترسيخ الشروط البنيوية للنظرية السوسيولوجية الكونية، يستفيق العقل العربي من خلالها وينتفض المجتمع كما يندحر الطغيان.

- الإحالات والمراجع :

1- حيدر إبراهيم علي (1985)."علم الاجتماع والصراع الأيديولوجي في الوطن العربي" **مجلة المستقبل العربي**، العدد 78.

2- فريدريك معتوق(1985). "علومنا الاجتماعية و المسألة المفقودة ".**مجلة الفكر العربي**، بيروت: معهد الانماء العربي، العدد 37-38 .

3- خليل عبد الله المدني(2007)."علم الاجتماع في الوطن العربي الواقع والطموح، دراسة في نشأة وتطور علم الاجتماع في كل من مصر والسودان والسعودية ودوره العلمي والمجتمعي". **ندوة علم الاجتماع من منظور إسلامي جامعة النيلين**، القاهرة: مركز الدراسات المعرفية.

4- تقرير التنمية البشرية(2001). **معهد التخطيط القومي**، Undp،مصر.

5- شادية علي قناوي. (2000). **سوسيولوجيا المشكلات الاجتماعية وأزمة علم الاجتماع المعاصر**، القاهرة: دار قباء.

6- عبد الباسط عبد المعطي(1981).**اتجاهات نظرية في علم الاجتماع**، الكويت: عالم المعرفة.

7- ناظم عودة(2009). **تكوين النظرية في الفكر الإسلامي والفكر العربي المعاصر**، لبنان: دار الكتاب الجديد.

8- علي الحوات(2010)."**النظرية الاجتماعية وتفسير المجتمع العربي المعاصر**"، مجلة إضافات، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، عدد 25.

9- Abdelhakim Bouhroum(2009). Sociologie et société Algérienne ou les

10paradoxes

d'une relation cognitive problématique, esprit critique. Vol 12.N2.

10http://www.espritcritique .fr

11- مصطفى محسن(2015).**جدل السوسيولوجيا والسياسة وحوار النظرية والممارسة في فكر محمد جسوس**، المغرب: منشورات الزمن.